

والوفاق أدامهما الله بين رجال العلم وأمناء الأمة في ظل تعطفات مولانا
الخدوي المظم ونحت عناية مولانا صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر
أمين
كتبه بقلمه

سليمان العبد بالأزهر

ويقال أنه كان بين الشيخين بعض فتور وانهما قد تصالحا على يد
فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع وستبري النيابة الاستاذ الشيخ سليمان
وتقيم الدعوى على صاحب التهج وعسى أن يتربى في هذه الكرة وينيب

العلم والحرب (*)

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمت فأعمت
يلهج الناس في الشرق بأن العلم قد ركبت في هذا العصر ربحه،
وخبث مصابجه، وان الجهل قد عمّ بلاؤه، وحادت ظلماته، فأصبح الناس
ظلمات لا يبصرون فيها، وحيرة لا يهتدون معها، يلهجون بهذا ولا
يحركون لسانا في البحث عن انارة الظلمة، وكشف الغمة، لا اعتقادهم بان
سنة الله تعالى في الخلق أن يكون دائما في تدل وهبوط وان هذا العصر
هو الدور الاخير من عمر الدنيا فلا جرم ان أهله يكونون في الدرك
الاسفل من الجهل والغباوة والتواكل والتناوة (ترك المذاكرة والمدارسة)
وكذلك لهجهم، واعتقادهم في الدين يعترف كافتهم بأنه قد تركت أحكامه،
واشتبهت أعلامه، بل تصرح خطباء المسلمين على منابر مساجدهم بأنه لم

(*) فاتحة المدد التاسع عشر الذي صدر في ٧ ربيع سنة ١٣١٦

يقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه» وانه «عظم البلاء واشتد على الناس الامر، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الحجر» وما أشبه هاتما .

ان اعتقاد الناس بأن هذا من علامات الساعة ومن خصائص آخر الزمان قد سهل على غويهم ارتكاب الفواحش واجتراح السيئات وأمسك لسائر شيدم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالعلماء (أكثرهم) ينشون مجالس الظلمة والتساق ويعظمونهم ويمدحونهم ، ويعززونهم ، ويمززونهم ويعفونهم ويعفونهم، واذا استفتوهم في بعض المحظورات يفتونهم، فما بالك ببقية الناس ، وسائر الاصناف والاجناس ، لكن الجالة السيئة التي انتهوا اليها من علم وعمل وعادات وتقاليد يحافظون عليها أشد المحافظة وينكرون على من أخل بها أشد الانكار ، اخترع الخداء المعروف بالكندرة أو الجزمة فقامت قيامة العلماء على محمديها وأنقوا الرسائل في اثبات انها بدعة محرمة في الدين ولا يزال فيهم من يتأثم من احتدائها ويذم فاعله ويقدم في دينه (والذم والتدح من المحرمات اجماعا) ولو نظر هؤلاء الفلاة الى أشخاصهم لرأوها محاطة بامثال هذه البدعة من قنازهم وعماراتهم (ما يابس على الرأس) الى أحذيتهم ونعالهم ولو التفتوا الى نفوسهم وأعمالهم لرأوها منقوسة في البدع الحقيقية ، أشار بعض العلماء الواقفين على سير العلوم العارفين بفن التعلیم (البدجوجيا) الى ترك قراءة الحوائث اطلبة العلم فاضطرب لهذه الاشارة كثير من علماء الأزهر واستكبروا الامر واستنكروه لانه مخالف لما اعتادوه والنوه وهم يشاهدون البدع والمنكرات الحقيقية في أنضال عبادتهم في نفس أزهرهم ولا ينبس أحد منهم يثبت شفة في الانكار

على فاعليهما ، على ان الحواشي التي يتمسك بها جمهورهم الآن بحجة انها من آثار سلفهم ليست مما يعرفه سلف الامة الصالح وانما هي من بدع الخلف السيئة بدليل انحطاط العلم وضعفه بمد شيوخها كما يعرفه من له أدنى الملم بالتاريخ ، أنكرنا في جريدتنا على البدع والاضاليل التي تحصل في الجامع الاحمدي أيام الاطفال المسمى بالمولدي في مصر فاهتزت لانكارنا بلاد الشام وأكبر الناس ذلك الانكار وما ذلك الا لان تلك المنكرات صارت عادات راسخة . نعم ان قومنا أصبحوا ينكرون المعروف ، اذا لم يكن من المؤلف ، وينتصرون للمنكر ، اذا اعتيدوا تكرر ، فكما أنكر علينا بعضهم الكلام في منكرات الموالد من قبل قام اليوم آخرون ينكرون علينا قاعدتين صحيحتين وردتا في عرض ثلاثنا (احداهما) ان سنة الله تعالى في الخلق ان يكونوا دائما في ترق ونمو حتى يبلغ كل كماله وان الامم التي تتدلى وتضوى فانما ذلك لمرض ألم بها فاضواها ، أو ضعف طرأ عليها فدلهاها «والثانية» ان العلم والتعليم أفضل من الحرب والجهاد وانما ندع الكلام في الاولى لمدد تال وتسكام على الثانية فنقول

مهما أطلقنا العلم في مباحث التربية والتعليم فزيد به ما يهدي الناس الى سعادتهم الدنيوية والاخروية فيدخل فيه علم العقائد وتهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال والفنون الحربية والسياسية والاقتصادية وهو بهذا الطلاق لا يرتاب في تفضيله على كل شيء الاعمي القلوب كنه البصائر وكيف وان الجهاد الذي يغالطون بتفضيله على التعليم لا يمكن أن يحصل بدون التعليم بل أصل الدين والایمان علم مدون يؤخذ بالتعليم واذا كان العلم أفضل كل شيء قطعيه افادة للافضل كما قال الامام الغزالي والاشتغال

بإفادة الأفضل أفضل ، من الاشتغال بالفاضل والمفضول فالعلم والتعليم أفضل الاعمال على الاطلاق ومرتبة العلماء المعلمين تلي مرتبة النبوة كما ورد في الاخبار الكثيرة

هذا أمر مجمع عليه اجماعاً مؤيداً بالكتاب والسنة والقياس والشواهد العقلية ثم وقع الخلاف في المفاضلة بين العالم والشهيد والجاهير على تفضيل الاول لعموم الأدلة والحديث « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ، بمدد الشهداء ، فيرجح مداد العلماء » وأثر ابن مسعود « والذي نفسي بيته ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يعظم الله - لهم لما يرون من كرامتهم وان أحداً لم يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم » ومثل هذا الاثر له حكم المرفوع وأمثال هذا كثير وصرح بمضمونه جماعة من أئمة العلم كالفرازي وغيره من نظر بعين البصيرة ، الى مقاصد الشريعة ، علم ان الدين انما ينتشر بالدعوة والتبليغ لا بالاكراه والالزام « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ورأى ان الحرب شر عظيم وان الوحي لم يأذن بالجهاد الا للضرورة جرياً على قاعدة ارتكاب أخف الضررين فالفضيلة فيه عرضية ، لا ذاتية ، والضرورة بالنسبة للمدافعة عن الحق الذي يعتقد المجاهد فيه سعادته وسعادة البشر كلهم ظاهرة وأما بالنسبة للهاجة وابتداء القتال فالضرورة تعذر نشر الحق ونهذيب الناس بالارشاد والتعليم قولاً وعملاً بدونها لان ابتداء القتال مشروط بعدم قبول المخالف للدخول في الذمة المبرر عنه بإعطاء الجزية التي هي شرطه فاذا قبل الدخول في الذمة محرم قتاله لانه يطاع حينئذ على أحكام الدين وأخلاق أهله وأعمالهم وأحكامهم فان رافت له واقتنع بحقيقتها اتبعها عن رضى واذعان والا كان

هو المقصود ولا تيمة علينا ببقائه على باطله وعلينا أن نعامله بالعدل ونساويه بالحقوق « لهم مالنا وعليهم ما علينا » (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وأول ما نزل في الجهاد من الآيات مصرح بوصف المجاهدين بقوله تعالى (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأصروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وبانه لولا اذن الله الناس بالمداخلة عن الحق لمدمت صوامع العباد وبيع النصارى وصلوات اليهود (معايدهم) ومساجد المسلمين . وقد أوردنا هذه الآيات بنصها في العدد الثاني والخامس وأشرنا لما فيها من الحكمة

لما كان المتقدمون علينا تفضيل التعليم على كل ما عداه جامدين على تقليد الاوائل أحيينا أن نذكر هنا نبذة في ذلك عن الامام الغزالي فنقول بين هذا الامام فضيلة العلم والتعليم والتعلم بالآيات والاخبار والآثار ثم كتب فصلا بين فيه ذلك بالشواهد العقلية ابتداء بذكر معنى الفضيلة في نفسها وقسم الشيء النفيس المرغوب فيه الى ثلاثة أقسام ما يطلب لغيره كالنقود وما يطلب لذاته كسعادة الآخرة وما يطلب لغيره ولذاته معا كسلامة البدن ثم قال مانصه

وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيت له لدينا في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريمة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به وأعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وأفضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة

في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذاً أفضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف
فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرة وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب
العالمين والاتحاق بأفق الملائكة ومقارنته الملائكة الأعلی هذا في الآخرة
وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في
الطباع حتى ان أغنياء الترك وأجلاف العرب يصادفون علماءهم بمجولة
على التوقير لشيوخهم لا خصصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة
بطلبها توقر الانسان لشمورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها

هذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت فضائلها
بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان
أفضل الامور كان تعلمه طلباً للافضل وكان تعليمه افادة للافضل . وبيانه
ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا
فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الالة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها
آلة ومنزلاً لمن يتخذها مستقراً ووطناً وليس ينتظم أمر الدنيا الا بالأعمال
الآدميين، وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام . أحدها
أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم، والحياكة وهي
للملبس، والبناء وهو للمسكن، والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون
على اسباب المعيشة وضبطها (الثاني) ماهي مهيشة لكل واحدة من هذه
الصناعات وخادمة لها كإعدادها فانها تستخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد
آنها وكالحلابة والفرل فانها تستخدم الحياكة بإعداد عملها (الثالث) ماهي متممة
للأصول ومزينة لها كالطحن والخبز والزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة
وذلك بالإضافة الى قوام أمر العالم الارضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة

الى جلته فانها ثلاثة اضرِبَ ايضاً اما اصول كالتاب والكبد والدماع
واما خادمة لها كالمدّة والبروق والشرابين والاعصاب والاوردة واما
مكلمة لها ومزينة كالظفار والاصابع والحاجبين، وأشرف هذه الصناعات
أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي
هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات
ولذلك يستخدم لأمحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات
والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم النجى
في الدنيا والآخرة على أربع مراتب (الاولى) وهي العليا سياسة الانبياء
عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهرهم وباطنهم (الثانية)
الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على
ظاهرهم لا على باطنهم (الثالثة) العلماء بالله وبيدته الذين هم ورثة الانبياء
وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادتهم
ولا تنهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع (الرابعة) الوعاظ
وحكمهم على بواطن العوام فقط. وأشرف هذه السياسات الاربع بمد
النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة
وارشادهم الى الاخلاق الحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم. وانما قلنا ان
هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لان اشرف الصناعة يعرف بثلاثة
أمور - إما بالالتفات الى الفريضة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم
العقلية على النورية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والمقل أشرف
من السمع، وإما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة، وإما
بملاحظة الحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ جعل أحدهما

الذهب ومحل الآخر جلد الميتة . وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه
 طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف
 صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار
 الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة
 وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم
 وأشرف موجود على الارض جنس الانس وأشرف جزء من جوهر
 الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته وتطهيره وسياقته الى القرب
 من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة
 الله تعالى وهو من أجل خلافة الله تعالى فان الله تعالى قد فتح على قلب
 العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالتخازن لا نفس خرائنه ثم هو
 مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج اليه فأى رتبة أجل من كون
 العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلي وسياقهم
 الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى اه

﴿ مشروع سكة حديد ﴾

« بين بور سعيد والبصرة »

كنا اقتصرنا عند الكلام على هذا المشروع لاول مرة على الاعتراف
 بمظيم فائدته وتقويض الامر فيه لحكمة مولانا السلطان الاعظم ووزرائه
 الصادقين وذلك لامرين أحدهما ما ذكرناه في العدد الماضي من كون
 المقترح هو أن تكون لجنة العمل تحت رئاسة مولانا أيده الله تعالى لانها لا
 يمكن أن تتجبح بدون ذلك وثانيها ان للمشروع وجهة سياسية بينها هنا